قضايا وآراء

أخبار الخليج

العدد (17761) - السنة الحادية والخمسون - الأحد 28 جمادى الأولى 1448هـ - 8 نوفمبر 2026م

ذكريات.. في صفحات مطوية!



بقلم:
عبدالرحمن علي البنفلاح

هذه صفحات مطويات تتضمن بعض الذكريات التي مررت بها، أو مرت بي.. والذكريات كثيرة لا يستوعبها مقال واحد، أو مقالان وربما أكثر من ذلك، ويكفي أن نختار بعضها للإشارة إلى علاقتي بها كقارئ أو ككاتب يقف من الأحداث غير بعيد.

لقد اخترت بعض الأمثلة؛ منها لقائي بالدكتور أمين الساعاتي، وهو طبيب متخصص في الأنف والأذن والحنجرة، ولقائي الأول به كان غريبا وغير متوقع، حيث ذهبت إليه في عيادته لعلاج زوجتي، ودهشت كثيرا من حرارة استقباله لي على غير معرفة سابقة به، فلما سألته عن ذلك قال: هل تذكر محل الاسطوانات الذي كنت تتردد عليه لشراء أسطوانات لمطربين قدامى مثل محمد عبدالوهاب وكارم محمود، ومحمد فوزي، فقلت: نعم، قال: هل تذكر الطفل الذي كان يعبث بمحتويات المحل وأبوه ينهاه عن ذلك؟ قلت: نعم، قال: كنت أنا ذلك الطفل! وسعدت سعادة غامرة كيف أصبح ذلك الطفل طبيبا معروفا يتردد على عيادته المرضى بحثا عن العلاج.

صفحة أخرى من صفحات الذكريات التي كانت مطوية، وهأنذا أفتحها للتعرف على محتواها.

الدكتور عبدالحليم حنفي، أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة البحرين، ثم في إحدى جامعات المملكة العربية السعودية كان صديقا لنا، وكنا على تواصل مستمر من خلال مساهماته في الصفحة الإسلامية التي كنت أشرف عليها في صحيفة أخبار الخليج، وكنت أرجو لقاءه في السعودية أو في البحرين حتى وقع البلاء لي بفقد ولدي علي، فذهبت إلى العمرة، وكان قد سبق للدكتور عبدالحليم حفني أن أخبرني عن زياراته المتكررة للعمرة وكان يختار يوم الخميس، وعندما أراد الذهاب إلى العمرة كان الجو ملبدا بالغيوم فعدل عن ذلك، ولكن شاء الله تعالى أن يتحقق ذلك اللقاء حين عاد الجو إلى صفائه، وكنت جالسا أنتظر أداء صلاة العشاء حينها خطر على بالي الدكتور، وإذا برجل يقف على يساري، وفجأة رفعت رأسي، فإذا هو الدكتور عبدالحليم حنفي فأردت أن أقسم بالله العظيم على هذا العطاء الرباني فقال: تفعل ولكن انتظر حتى أصلي ركعتي تحية المسجد، فلما انتهينا من الصلاة ذهبنا إلى السكن، وقصصت عليه القصة وهو قص علي قصته هذا التوافق العجيب، وقلت له يا دكتور لدي تفسير لهذا، قال وما هو؟ قلت ألسنا ضيوف الله تعالى؟ قال: نعم نحن كذلك، قلت له: أليس المضيف حريصا على إكرام ضيوفه بأحسن صورة؟ قال أجل، قلت له هذا هو إكرام الله تعالى لرجلين اجتمعا عليه وتفرقا عليه.

وهذه صفحة مطوية أريد أن يشاركني القارئ استحضارها مع الفنان سعد عبدالوهاب، وقد راسلته أطلب منه صورة تحمل توقيعه وكانت هذه إحدى هواياتنا قديما حتى اجتمعت لدينا مجموعة من الصور للعديد من الفنانين وكنا نحصل على عناوينهم عن طريق مجلة الموعد اللبنانية، وكان من بين هؤلاء الفنان سعد عبدالوهاب وهو ابن أخ الموسيقار محمد عبدالوهاب، وكان من عادته زيارة البحرين للمشاركة في أعيادها الوطنية، وفي إحدى زياراته اتصل بصديقه الدكتور عبدالشهيد نصيب يسأله عني وعن أحوالي، وأنه يريد رؤيتي، وذهبت للقائه في فندق شيراتون وكانت دهشته عظيمة وكانت دهشتي أعظم، وكنت شديد الرغبة لمعرفة كيف توصل إلي بعد هذه السنوات الطويلة، فأخبرني أنه وهو يجمع أثاثه وحاجياته استعدادا للانتقال إلى سكن جديد عثر على رسالة جاءته من البحرين، بتوقيع (عبدالرحمن علي فلاح)، فأحب أن يتصل بصاحب الرسالة، وهل هو لا يزال على العهد باقيا من إعجابه بالفن الهادف وظل التواصل بيني وبينه حتى توفاه الله تعالى.

وإليكم هذه الصفحة، ودعوني أفتحها لكم، فقد دعيت إلى برنامج إذاعي تقدمه إحدى المذيعات، ولما انتهت المذيعة من أسئلتها العامة رأيت على وجهها التردد والحيرة، ولما سألتها عن ذلك قالت: من عادة البرنامج أن يختم البرنامج بسؤال الضيف أن يختار أغنية يحب سماعها، فذكرت لها اسم الأغنية وهي: (الصبر والإيمان)، فسألتني لمن هذه الأغنية فقلت للموسيقار محمد عبدالوهاب، وهي من تأليف الشاعر حسين السيد وسُجلت في الإذاعة المصرية عام 1950.

وذكرت لها بعض كلمات الأغنية:

الصبر والإيمان دول جنة المظلوم
والحر في الأوطان حاكم ولو محكوم
لو صام سنة عطشان عمر العطش ما يدوم
افتكري يا جدران يا أوفى من الإنسان
صوتي مع الاذان حيقول في كل أوان
يا ظالم لك يوم مهما طال اليوم

هذه بعض الصفحات المطويات فتحتها لكم لتشاركوني المتعة التي شعرت بها وأنا أقلبها وأتنسم عبير الماضي.

بطاريات المستقبل.. هل نقترب من عصر تنتهي فيه مخاوف الحرائق ونفاد الشحن؟



بقلم:
د. عبدالله الشتر ○

لا يكاد يمر يوم من دون أن نستخدم جهازاً يعمل ببطارية قابلة للشحن، سواء كان هاتفاً محمولاً أو حاسوباً شخصياً أو سيارة كهربائية. ومع هذا الاعتماد المتزايد، تتكرر أسئلة مألوفة: لماذا تتراجع كفاءة البطارية بمرور الوقت؟ ولماذا ترتفع حرارتها أحياناً؟ وهل سنتمكن يوماً من شحن أجهزتنا بسرعة أكبر من دون القلق على سلامتها أو عمرها الافتراضي؟ قد تبدو الإجابة مرتبطة بصناعة الإلكترونيات، لكنها في الحقيقة ترتبط أيضاً بعلم وهندسة المواد، وهو مجال يقف وراء كثير من التقنيات التي نستخدمها يومياً من دون أن ننتبه إلى دوره. وربما اعتدنا أن نقيس تطور الأجهزة بحجم الشاشة وسرعة المعالج، بينما يبقى ما يحدث داخل البطارية بعيداً عن أعيننا، رغم تأثيره المباشر في تجربة الاستخدام اليومية.

تعتمد معظم الهواتف والسيارات الكهربائية اليوم على بطاريات أيونات الليثيوم، التي تخزن الطاقة وتطلقها من خلال حركة جسيمات مشحونة تسمى الأيونات بين قطبين داخل البطارية. وتتحرك هذه الأيونات عبر مادة تعرف بالإلكتروليت، وهي في كثير من البطاريات الحالية مادة سائلة تحتوي على مركبات عضوية قابلة للاشتعال. ورغم أن هذه البطاريات آمنة عموماً عند تصنيعها واستخدامها بصورة سليمة، فإن تعرضها للتلف أو لارتفاع شديد في الحرارة قد يؤدي في ظروف معينة إلى تفاعلات متسارعة يصعب السيطرة عليها. ومن هنا برز سؤال يشغل الباحثين منذ سنوات: ماذا لو استطعنا استبدال المادة السائلة بأخرى صلبة؟

هذه الفكرة هي أساس ما يعرف ببطاريات الحالة الصلبة، التي أصبحت من أبرز الاتجاهات البحثية في مجال تخزين الطاقة. وتعتمد على مواد صلبة تسمح بانتقال الأيونات بين القطبين من دون الحاجة إلى الإلكتروليت السائل التقليدي. وقد يساعد ذلك في تقليل بعض مخاطر الاشتعال، كما يفتح المجال أمام تصميم بطاريات تخزن طاقة أكبر ضمن حجم ووزن أقل. ولنتخيل ما قد يعنيه ذلك بالنسبة إلى السيارة الكهربائية؛ فزيادة الطاقة المخزنة من دون زيادة مماثلة في الوزن قد تتيح قطع مسافات أطول قبل إعادة الشحن.

أما في الهواتف، فقد نرى مستقبلاً أجهزة تعمل ساعات أطول من دون الحاجة إلى بطاريات أكبر حجماً. لكن هذه المزايا تظل مرتبطة بنجاح تصميم البطارية كاملة، وليس بمجرد استبدال مادة بأخرى.

فالمسألة ليست بهذه البساطة. المواد الصلبة لا تتلامس دائماً بالكفاءة التي توفرها السوائل، وقد تتكون عند نقاط التلامس مقاومة تعيق انتقال الأيونات وتؤثر في الأداء. كما أن الشحن والتفريغ المتكررين قد يتسببان في تغيرات ميكانيكية وتشققات دقيقة داخل بعض المواد، ما يقلل عمر البطارية. وهنا تظهر أهمية هندسة المواد، فهي لا تعني فقط اكتشاف مادة جديدة، بل دراسة بنيتها المجهرية والتفاعلات التي تحدث عند أسطحها، وفهم سلوكها تحت تأثير الحرارة والإجهاد. والمثير أن مشكلة صغيرة جداً، لا ترى بالعين المجردة، قد تكون كافية لإعاقة تقنية واعدة عن الوصول إلى الأسواق.

وقد أعلنت شركات عالمية، وخصوصاً في آسيا، خططاً لتطوير بطاريات الحالة الصلبة واستخدامها في السيارات خلال السنوات المقبلة. لكن ينبغي التمييز بين نجاح تجربة داخل المختبر وإنتاج بطارية موثوقة بمئات الآلاف أو ملايين الوحدات.

فقد تحقق مادة معينة نتائج ممتازة في التجارب الأولية، ثم تظهر صعوبات عند تصنيعها بكميات كبيرة أو المحافظة على جودتها أو خفض كلفتها. والمستهلك في النهاية لا يريد تقنية متقدمة على الورق فقط، بل بطارية آمنة تدوم طويلاً وسعرها معقول. لذلك من المبكر القول إن البطاريات التقليدية ستختفي قريباً، والأقرب أن تتعايش تقنيات مختلفة سنوات، بحسب احتياجات كل استخدام.

وفي منطقة الخليج، تكتسب هذه الأبحاث أهمية إضافية بسبب ارتفاع درجات الحرارة خلال الصيف، إلى جانب الاهتمام المتزايد بالسيارات الكهربائية والطاقة الشمسية. فالحرارة قد تسرع بعض التفاعلات المسؤولة عن تدهور البطاريات، ما يجعل اختيار المواد المناسبة وتصميم أنظمة التبريد والحماية أمراً أساسياً. والبطارية التي تعمل بكفاءة في مناخ معتدل قد تحتاج إلى ترتيبات إضافية حتى تحافظ على أدائها في أجوائنا الحارة. كذلك فإن التوسع في الطاقة الشمسية يطرح سؤالاً عملياً: كيف نخزن الكهرباء المنتجة نهاراً لنستخدمها ليلاً؟ وهنا قد تسهم البطاريات المتقدمة في توفير حلول أفضل، وإن كانت ملاءمتها لهذه التطبيقات تعتمد على الكلفة والعمر التشغيلي والسلامة، وليس على كثافة الطاقة وحدها.

والواقع أن السباق الدائر اليوم لا يتعلق فقط ببطارية تشحن أسرع أو تقطع بها السيارة مسافة أطول، بل بطريقة أكثر كفاءة وأماناً لتخزين الطاقة التي أصبحت جزءاً أساسياً من حياتنا.

قد لا يعرف المستخدم تفاصيل المواد الموجودة داخل هاتفه، لكنه سيلاحظ الفرق عندما تحتفظ البطارية بكفاءتها مدة أطول أو تتحمل ظروف الاستخدام بصورة أفضل. وربما يكون الإنجاز الحقيقي في المستقبل هو الجمع بين السلامة والأداء والسعر المناسب، مع تقليل الأثر البيئي للتصنيع والتخلص من البطاريات. وحتى يتحقق ذلك، يبقى تطوير المواد وفهم سلوكها خطوة أساسية في الطريق إلى بطاريات أفضل، لا مجرد وعد تقني جديد.

ومن المهم كذلك أن تصل هذه التطورات إلى الناس بمعلومات واضحة، بعيداً عن المبالغة في الوعود التجارية، حتى يستطيع المستهلك التمييز بين ما أصبح متاحاً فعلاً وما لا يزال قيد البحث والتجربة.

○ أستاذ مساعد في هندسة المواد بقسم الهندسة الكيميائية – جامعة البحرين.

إدارة التميز المؤسسي وفقا لأهداف التنمية المستدامة



بقلم:
د. زكريا الخنجي

تعمل المؤسسات اليوم في بيئة تتسم بالتسارع التقني وتعقّد التوقعات المجتمعية وشدة المنافسة، ما جعل معايير النجاح التقليدية، كالربحية قصيرة الأجل أو الالتزام بالإجراءات، غير كافية للحكم على جودة الأداء المؤسسي. ومن هنا برز مفهوم التميز المؤسسي (Organizational Excellence) بوصفه قدرة المؤسسة على تحقيق نتائج متفوقة ومستدامة لجميع أصحاب المصلحة، عبر قيادة واعية ومنظومة عمل منضبطة وثقافة تعلّم متجددة.

وتزداد أهمية هذا المفهوم حين يقترن بالتنمية المستدامة، إذ لم يعد يُقبل أن تتميز مؤسسة في أدائها بينما تستنزف مواردها أو تُهمل أثرها المجتمعي أو تضعف قدراتها الإدارية على المدى البعيد. وتتبنى حكومات ومؤسسات عربية كثيرة برامج وجوائز وطنية للتميز وتربطها برؤى التنمية الإستراتيجية، غير أن التجربة العملية تُظهر أن كثيرًا من المؤسسات تتعامل مع التميز كمشروع لنيل جائزة أو شهادة لا كمنهجية قيادية دائمة، وهو ما يفسر تراجع الأثر بعد انتهاء دورات التقييم.

ما نحاول أن نستعرضه في هذا المقال هو أن التميز ليس مشروعًا يُنجز مرة واحدة، بل منظومة قيادية مستمرة ترتكز على خمسة أبعاد: التوجه الاستراتيجي، والقيادة القدوة، وتمكين الأفراد، والعمليات القائمة على البيانات، وثقافة التعلم والابتكار. وتُقاس نتائج هذه الأبعاد الأربعة للتنمية المستدامة.

أولاً: أبعاد منظومة التميز المؤسسي

1. البعد الأول: التوجه الاستراتيجي؛ بمعنى وضوح الغاية والرؤية والقيم، وترجمتها إلى أهداف قابلة للقياس مرتبطة بحاجات أصحاب المصلحة. وتُعد بطاقة الأداء المتوازن لكابلان ونورتن أداة فاعلة لربط الاستراتيجية بالتنفيذ، ويمكن إضافة أهداف الاستدامة إليها كمنظور مستقل.

2. البعد الثاني: القيادة القدوة؛ أي أن تلتزم القيادة العليا بالتميز سلوكًا لا شعارًا، فتشارك في مراجعات الأداء، وتدعم المبادرات، وتحاسب نفسها بالمعايير ذاتها التي تحاسب بها الآخرين.

3. البعد الثالث: تمكين الأفراد؛ وذلك ببناء بيئة تمنح الموظفين الصلاحية والمهارة والثقة، وتعزز الانتماء والسلامة النفسية التي تسمح بالمبادرة وتقبّل الخطأ بوصفه فرصة للتعلم.

4. البعد الرابع: العمليات القائمة على البيانات؛ بحيث يتم تصميم العمليات حول احتياجات المستفيدين، وإدارتها بمؤشرات دقيقة، واعتماد التحليل والتقنيات الرقمية في اتخاذ القرار بدلاً من الانطباعات الشخصية.

5. البعد الخامس: ثقافة التعلم والابتكار؛ أي تحويل المراجعات والنتائج والمقارنات المرجعية إلى فرص تحسين منتظمة، وتشجيع التجريب وإدارة المعرفة وتبادل أفضل الممارسات.

ثانيًا: أبعاد التنمية المستدامة الأربعة

تكتمل المنهجية حين تُقاس نتائجها في أربعة أبعاد؛ وهي: الاقتصادي، والمجتمعي، والبيئي، والإداري. فالمؤسسة المتميزة لا تكتفي بتحسين أدائها الحالي الداخلي، بل تضمن ألا يكون ذلك على حساب الأجيال القادمة أو الموارد أو المجتمع الذي تخدمه.

1. البعد الاقتصادي: ويقصد به استدامة القيمة المالية والاقتصادية للمؤسسة وأثرها في الاقتصاد الأوسع، ويمكن أن تترجم إلى التخطيط المالي بعيد المدى، وتنويع مصادر الإيراد، وترشيد الإنفاق من دون الإضرار بالجودة، والاستثمار في الابتكار.

2. البعد المجتمعي: ويظهر أثره الإيجابي في الأفراد والمجتمع والعدالة في توزيع المنافع، ويمكن أن تترجم من خلال تمكين الموظفين، وتحقيق رضا المستفيدين، والشراكات المجتمعية، وتكافؤ الفرص والإتاحة للجميع.

3. البعد البيئي: ويكون واضحًا من خلال حماية الموارد الطبيعية وتقليل الأثر البيئي للأنشطة والعمليات، ويتم ذلك من خلال إدماج الاعتبارات البيئية في تصميم العمليات، وترشيد الطاقة والمياه والورق، وإدارة النفايات، والتحول الرقمي.

4. البعد الإداري المؤسسي: ويصبح ذلك واضحًا من خلال استدامة القدرات المؤسسية وجودة الحوكمة والقيادة، ويتم ذلك من خلال وضوح الأدوار والمساءلة، والشفافية، وتخطيط التعاقب القيادي، وإدارة المعرفة، والتعلم المؤسسي.

ثالثًا: الأبعاد القيادية والاستدامة

لا تكتمل إدارة التميز المؤسسي إلا بوجود ترابط بين كل تلك الأبعاد التي ذكرت سابقًا، ولا يتم ذلك إلا بالبعد القيادي، فالتوجه الاستراتيجي يضمن إدراج الأبعاد الأربعة في الأهداف، والقيادة القدوة تُرسّخ الالتزام بها، وتمكين الأفراد يحقق البعد المجتمعي، والعمليات القائمة على البيانات تقيس الأثر البيئي والاقتصادي، وثقافة التعلم تحمي البعد الإداري من التآكل مع تغير القيادات. وهي تشمل:

1. المرحلة الأولى: دليل المنهجية التطبيقية؛ التي نقترح من خلالها نموذجًا من ست مراحل متتابعة ومتداخلة، يعمل بمنطق دورة التحسين المستمر، وتُدمج فيه أبعاد الاستدامة في كل مرحلة.

2. المرحلة الثانية: التشخيص والجاهزية؛ وتتضمن إجراء تقييم ذاتي شامل مقابل نموذج مرجعي مختار، واستطلاع آراء الموظفين والعملاء، وتحديد فجوات الأداء ومستوى نضج المؤسسة في الأبعاد المستدامة الأربعة. ومخرجات هذه المرحلة تقرير تشخيصي بنقاط القوة وفرص التحسين.

3. المرحلة الثالثة: الالتزام القيادي وبناء الرؤية؛ وتشمل إعلان القيادة العليا التزامها رسميًا، وتشكيل مجلس أو لجنة توجيهية للتميز والاستدامة، وصياغة رؤية واضحة تربط التميز بالغاية المؤسسية.

4. المرحلة الرابعة: التخطيط الاستراتيجي والمواءمة؛ ويتم بتحويل نتائج التشخيص إلى خطة استراتيجية بأهداف ومبادرات ومؤشرات رئيسية، على أن تتضمن أهدافًا صريحة في الأبعاد الاقتصادي والمجتمعي والبيئي والإداري، مع توزيع المسؤوليات وربط الموازنات بالأولويات.

5. المرحلة الخامسة: التمكين والتنفيذ؛ أي تنفيذ المبادرات عبر فرق عمل متعددة الوظائف، وبناء القدرات والتدريب، وإعادة هندسة العمليات الحرجة، وإدارة مقاومة التغيير بالتواصل المستمر وإشراك المتأثرين.

6. المرحلة السادسة: القياس والمراجعة؛ ويتم ذلك من خلال متابعة المؤشرات دوريًا عبر لوحات قيادة، وعقد مراجعات أداء ربع سنوية، وإجراء مقارنات مرجعية داخلية وخارجية، وتحليل الأسباب الجذرية للانحرافات.

7. المرحلة السابعة: التعلم والتحسين والاستدامة؛ ويظهر ذلك من خلال توثيق الدروس المستفادة، وتعميم الممارسات الناجحة، وتحديث الاستراتيجية في ضوء المستجدات، وإدخال التميز في أنظمة التقييم والحوافز حتى يصبح جزءًا من الثقافة.

وفي الختام؛ أن نتميز مؤسسيًا فإن ذلك يحقق مستويات أداء استثنائية بصورة مستمرة، عبر إدارة فاعلة للاستراتيجية والعمليات والأفراد والشراكات والموارد، بما يحقق قيمة مضافة لأصحاب المصلحة. وهو يتجاوز الجودة التي تركز على مطابقة المواصفات، ويتجاوز الكفاءة التي تركز على خفض الكلفة، ليشمل الأثر والاستدامة والقدرة على التكيف.

فالنجاح المؤسسي يتوقف على القيادة أكثر من توقفه على اختيار النموذج؛ فالنماذج المرجعية متقاربة في مكوناتها، بينما تتفاوت المؤسسات تفاوتًا كبيرًا في الأثر المتحقق منها. ويفسر ذلك بأن النموذج يوفر الخريطة، بينما تصنع القيادة الرحلة؛ فهي التي تحدد الأولويات، وتخصص الموارد، وتشكل السلوك، وتحمي الاستمرارية عند تغير الظروف.

كما أن ربط التميز بأبعاد التنمية المستدامة يمنح المؤسسة معيارًا وبُعدًا أوسع للنجاح، ويحميها من تحقيق نتائج قصيرة الأجل على حساب مواردها أو مجتمعها. وتتطلب الاستدامة إدماج التميز في الأنظمة الرسمية كالتخطيط والموازنة وتقييم الأداء والمكافآت، حتى لا يرتبط بأشخاص بعينهم أو بفترات زمنية محددة.

وهذا ما حاولنا أن نستعرضه في ورقة عمل بعنوان (القيادة الاستراتيجية وصناعة مؤسسات المستقبل) في مؤتمر الابتكار القيادي والإداري من أجل التنمية المستدامة العاشر.

Zkhunji@hotmail.com

انهيار حاجز الخوف في ميشيجان

بقلم:
عبدالرحيم شلبي ○

لا يبدو فوز عبدالرحمن السيد بمقعد ولاية ميشيجان في مجلس الشيوخ، بعد أن أعلنت وسائل الإعلام الأمريكية نتيجته، مجرد خبر انتخابي عابر. فهو يقول شيئًا لا يستطيع السياسي الأمريكي أن يعلنه عن إسرائيل ويبقى مع ذلك في الحياة السياسية. ولطالما ظن الجميع أن هذا الحاجز لن يتزحزح، لكنه انهار.

وقد التقط ديفيد فريدمان، السفير الأمريكي الأسبق في إسرائيل، هذا المعنى مبكرًا، فقال محذرًا إن أمريكا ستجد في مجلس شيوخها عضوًا «لا يفرّق بين إسرائيل وإيران»، وإن الولايات المتحدة قد تصبح أقرب إلى بريطانيا وفرنسا وأستراليا وكندا، حيث تراجع الإجماع القديم حول إسرائيل، وصار نقدها كلامًا مألوفًا لا يثير الدهشة.

ومن الإنصاف ألا نحمّل النتيجة أكثر مما تحتمل؛ فعبدالرحمن السيد لم يفز بموقفه من إسرائيل وحده، إذ كان لغلاء المعيشة والرعاية الصحية والسخط على المؤسسة السياسية نصيب كبير فيما حصل عليه من أصوات. وميشيجان ولاية تميل في الغالب إلى الديمقراطيين وإن بقيت ساحة تنافس حقيقي، فليس الجديد أن ديمقراطيًا كسب مقعدًا فيها.

الجديد أن يكسبه رجل رأى أن إسرائيل دولة كسائر الدول، وأن سياساتها وما تناله من مساعدات عسكرية أمريكية يجب أن تُحاسَب بالمعيار الأخلاقي والاستراتيجي الذي يُحاسَب به غيرها، ثم ظل ثابتًا على ذلك حين انتقل من المنافسة داخل حزبه إلى المنافسة العامة، رغم كل ما سُخّر في مواجهته من مال ونفوذ، وفاز فوزًا حاسمًا. وقد كان هذا الموقف جزءًا أصيلًا من صورته أمام الناخبين، ومن أسباب التفاف الشباب والتيار التقدمي حوله.

وجاءت المعركة ضده من جبهتين؛ الأولى من داخل حزبه، فالنائبة هيلي ستيفنز، التي نافسته في الانتخابات التمهيدية، لم تكتفِ بالامتناع عن تأييده، بل سحبت تزكيتها له، وخرجت عن صف حزبها لتدعم الجمهوري مايك روجرز. وعابت عليه نقده لإسرائيل وعلاقته بالمعلق الإعلامي حسن بيكر، ووصفت موقفها بأنه «قرار ضميري». والثانية انه عانى من خصومه الجمهوريين، وقد تجاوزت الخلاف في السياسة إلى الطعن في شخصه وهويته. فالرئيس ترامب وصفه أكثر من مرة بالجهادي، وشكك في ولائه لبلاده، واستخدم دينه واسمه في الحملة. وتبعه نائب الرئيس جي دي فانس، فتساءل عن مدى التزامه بأمريكا، واتهمه بتوظيف موارد أمريكية في خدمة قضايا نزاعات بعيدة. أما السيناتور تيد كروز فحذّر من أن اطلاعه على معلومات استخباراتية حساسة يمثل خطرًا على الأمن القومي. وذهب وزير الصحة روبرت كينيدي أبعد من ذلك، فقال في مهرجان انتخابي بميشيجان لدعم روجرز إن العرب لم يسهموا في العلم، ولم يفوزوا بجوائز دولية كبرى، ولم يتركوا أثرًا في الأدب. والتاريخ يكذّب ذلك، ويكفي ما قدمه علماء العرب عبر القرون وما نالته أسماء عربية من جوائز نوبل.

لكن دلالة الكلام في مكان آخر، فهو يكشف كيف انتقل الهجوم من خصم سياسي إلى هجاء أمة كاملة. وقد نفى عبدالرحمن السيد مرارًا هذه الاتهامات. وخلاصة الحملة أنها أرادت أن تحوّل نقده لإسرائيل إلى شبهة في ولائه، وأن تجعل من عروبته وإسلامه عبئًا إضافيًا عليه، وكأن عليه أن يبرهن أنه أمريكي بالقدر الكافي، ومخلص بالقدر الكافي، ومقبول بالقدر الكافي، قبل أن يُؤتمن على مقعد في الشيوخ.

وكان المعروف في واشنطن منذ عقود أن من يتخذ موقفًا صداميًا من إسرائيل يدفع الثمن في صناديق الاقتراع. ولم يكن ذلك بفعل نص مكتوب، بل بفعل كبار المتبرعين لحملات الانتخاب، وجماعات الضغط المؤيدة لإسرائيل، وقيادات الحزبين، وما بقي من إرث الإجماع الذي تكوّن بعد المحرقة اليهودية وبعد حرب 1967. وقد أنفقت منظمة اللوبي الصهيوني «إيباك» والجماعات الدائرة في فلكها أموالًا طائلة ضده في الانتخابات التمهيدية، واستمرت الحملة في الانتخابات العامة. وكان الظن أن حاجز الخوف من نفوذ إسرائيل واللوبي الصهيوني سيصمد، لكنه انهار. والذي انهار في الحقيقة ليس تكتيكًا انتخابيًا، بل خوفا ظل يمنع السياسيين من تجاوز الخطوط غير المعلنة في الحديث عن إسرائيل.

وسوف يتأمل السياسيون هذه التجربة بعناية، فقد صارت أمام الآخرين سابقة يستندون إليها. وفي ضوء ذلك لا شك أن المرشحين التقدميين في الدوائر الآمنة سيجدون جرأة أكبر، أما من يخوضون المنافسة في الولايات المتأرجحة فسيزنون الأمر بين كسب الشباب والتقدميين ومخاطرة الصدام مع المنظمات المؤيدة لإسرائيل. وما إن يُفتح باب في النقاش العام لا يعود إغلاقه أمرا سهلا.

وكان السفير الأمريكي فريدمان يتحدث عن اتجاه عام لا عن انتخابات بعينها، وميشيجان تقدم اختبارًا جديًا لما قال. والنتيجة لا تعني أن الإجماع الأمريكي التقليدي قد زال، لكنها تعني أن تحديه لم يعد بالضرورة مغامرة انتخابية خاسرة.

وقد يرى بعضهم في ذلك تصحيحًا لازمًا، ويراه آخرون إضعافًا لعلاقة تاريخية راسخة، وكل فريق له حجته. وسوف تُظهر الانتخابات التمهيدية المقبلة هل يجرؤ غيره من السياسيين على السير في الطريق الذي اقتحمه السيناتور عبدالرحمن السيد.

○ كاتب ودبلوماسي سابق.